



شرح الأربعين النووية

لأبي زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي رحمه الله

الدرس الأول

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤٠/٠٥/٠٩ هـ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

فإننا نشرع بإذن الله تبارك وتعالى في دراسة كتاب قيّم ، ومؤلف نافع ، نفع الله جل وعلا به خلقاً
كثيراً من العباد ؛ أعني كتاب الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى .

وقد كُتب في الأربعين كتبٌ كثيرةٌ لأهل العلم ؛ لكن هذا الكتاب حاز قصب السبق في سعة
الانتشار ، وكبر الانتفاع ، وعظم الاستفادة منه .

وقد جمع فيه مُصنّفه رحمه الله تعالى الإمام النووي جوامعَ كلمِ الرسول عليه الصلاة والسلام ، واعتنى بجمع
الأحاديث التي قال عنها أهل العلم أنّ عليها مدارُ الدين ؛ ولهذا كان هذا الكتاب كتاباً لا
يستغنى عنه طالبُ علم ، بل لا يستغني عنه مسلم .
ولهذا ينبغي أن يكون هناك سعيٌّ حثيثٌ لنشر هذا الكتاب وتداوله وقراءته وحفظه والتعاون
على انتشاره بين الناس ؛ لأن فيه خير عظيم .

وجرت عادةُ أهل العلم قديماً وحديثاً عندما يسألهم المبتدئ من طلاب العلم عن كتاب يبدأ
به ؛ فإنه أول ما يحيلونه إليه كتاب الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى ، وأول ما يتبادر لذهن
العالم فيما ينصح به طالب العلم المبتدئ كتاب الأربعين للإمام النووي رحمه الله تعالى .

ولهذا ينبغي أن تكون عناية بهذا الكتاب العظيم ، وأن يكون الاهتمام به حفظاً للأحاديث
وفهماً لمعانيها ومدلولاتها ، وتطبيقاً لمقاصدها وغاياتها ، فيفوز العبد بخيري الدنيا والآخرة .

وستكون القراءة لهذا الكتاب بإذن الله تبارك وتعالى قراءة له مع قراءة شرح الوالد حفظه الله عليه ،
المسمى: فتح القوي المتين في شرح الأربعين و تتممة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله
والنووي كما هو معلوم جمع اثنين وأربعين حديثاً وسمها الأربعين تعليباً ، وابن رجب رحمه الله
زادها ثمانية أحاديث فبلغ عدده الجميع خمسين حديثاً ، وشرح ذلك كله الحافظ بن رجب رحمه
الله في كتاب حافل ومؤلف جامع حوى علماً غزيراً أسماه - جامع العلوم والحكم -

وهذا الشرح الذي بين أيدينا المسمى - فتح القوي المتين - فيه عناية بشرح هذا الكتاب
بشكل موجز ومن خلال نقاط تُبرز في بيان الأحاديث ودلالاتها ، وقد بدأ بحفظه الله بمقدمة بيّن
فيها أهمية كتاب الإمام النووي رحمه الله تعالى وعناية أهل العلم به وأيضاً حول أحاديث الأربعين
وجمع أهل العلم فيها .. فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله مجزل العطاء ومسبغ النعم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو
الفضل والإحسان والجود والكرم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد العرب والعجم ،
المخصوص من ربه بجوامع الكلم ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله أهل المكارم والشيم ،
وعلى أصحابه مصاييح الدجى والظلم ، الذين أكرمهم الله فجعلهم خير أمة هي خير الأمم
، وعلى كل من جاء بعدهم مقتفياً آثارهم وقد خلا قلبه من الغلّ للمؤمنين وسلم .
أما بعد ؛ فإن من الموضوعات التي ألف فيها العلماء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث
الأربعين ، وهي جمع أربعين حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث ورد في فضل
حفظ الأربعين حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر النووي رحمه الله في مقدمة الأربعين
له ورود عن تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سماهم وقال : واتفق الحُقَّاط على أنه
حديث ضعيف وإن كثرت طرقه] .

الشرح..

هذا حديث يُروى عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا يصح عنه ، فيه فضل من حفظ أربعين حديثاً

من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء من طرق عديدة ولكنها غير ثابتة ، فالحديث غير ثابت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وعددٌ من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين ؛ جمعوا في الأربعين بناءً على الأحاديث الواردة في فضل العناية بأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفضل حفظها ونقلها للأمة ، ولم يبنوا ذلك على هذا الحديث الذي لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وإنما بنوا عملهم على الأحاديث العامة المطلقة التي جاء فيها الحث على حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبلاغها للأمة ، ومنها الأحاديث التي يذكر النووي رحمه الله أنه اعتمد عليها في تصنيفه لهذا الكتاب .

قال : [و ذكر أن اعتماده في تأليف الأربعين ليس عليه]

الشرح..

" وذكر " .. - أي النووي رحمه الله - أن اعتماده في تأليف الأربعين ليس على هذا الحديث الضعيف وإنما كان اعتماده على أحاديث ثابتة فيها الترغيب في حفظ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وإبلاغها للأمة .

قال : [بل على أحاديث أخرى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوْعَاها » الحديث]

الشرح..

" نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوْعَاها " : هذا حديث فيه دعوة مباركة ميمونة من النبي عليه الصلاة والسلام لمن يحفظ حديثه ويُبلِّغه وقال هذه الدعوة المباركة في جمع كبير من الناس في مسجد الخيف من منى في خطبة له عليه الصلاة والسلام في يوم النحر فيها قال : « نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوْعَاها فَأَدَّأها كما سمعها » وهذا دعاء منه عليه الصلاة والسلام لمن يعتني بالحديث حفظاً وفهماً وإبلاغاً للناس .

قال : [وذكر ثلاثة عشر من العلماء أَلْفُوا في الأربعين أولهم عبد الله بن المبارك وآخرهم أبو بكر البيهقي وقال بعد ذكرهم وخلائق لا يُحْصُونَ من المتقدمين والمتأخرين] .

الشرح..

المؤلفات التي صُنفت في الأربعين كما قال النووي رحمه الله تعالى كثيرة جداً ، وبعد زمانه إلى زماننا هذا أُلِّف في الأربعين كتب كثيرة جداً ، وكل من أُلِّف في الأربعين جمع أحاديث أربعين في باب واحد ؛ مثل جمع أحاديث الأربعين في فضل لا إله إلا الله ، أو في فضل الدعاء ، أو نحو ذلك من المجالات التي جمعت فيها أحاديث الأربعين ، أما النووي رحمه الله تعالى فقد اتجه في جمعه للأربعين إلى جمع جوامع الكلم ، إلى جمع الأحاديث التي عليها مدار الدين.

قال : [ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب وكلها مقاصد صالحة رضي الله تعالى عن قاصديها ؛ وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله] .

الشرح..

هذه الطريقة التي يذكرها النووي هي طريقة أهل العلم ؛ وهي ذكر أعمال أهل العلم بالثناء ، فلما ذكر هذه الكتب ولديه اهتمام إلى الكتابة في أمر أعظم ومجال أهم ؛ لم يقلل من شأن تلك الكتب ؛ بل إنه أثنى على كل تلك الكتب بقوله : " وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها " ؛ وهذه الطريقة هي طريقة أهل العلم ، وأما من سواهم فإنه يميل إلى الانتقاص والاستهانة بأعمال الآخرين ؛ مثل أن يذكر هذه الكتب ويقول هذه الكتب أُلِّفت في مجالات ليست بذات أهمية أو مجالات هناك ما هو أهم منها وأنا كتبت في أهم مجال أو نحو ذلك ، فهو رحمه الله لما ذكر هذه الكتب أثنى على مؤلفيها ودعا لهم ، وهذه طريقة أهل العلم في التعامل مع العلماء قال : " وكلها مقاصد صالحة رضي الله تعالى عن قاصديها " .

قال [وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك] .

الشرح..

يعني أنه رَحِمَهُ اللهُ لما اتجه للجمع اتجه إلى جمع الأحاديث التي هي من هذا القبيل ، التي قال عنها العلماء أن عليها مدار الدين أو أنها نصف الدين أو أنها ثلث الدين أو أنها ربع الدين . وسيأتي نقول عن أهل العلم في هذا المعنى . فجمع رَحِمَهُ اللهُ الأحاديث التي عليها مدار الدين . وعليه فإن طالب العلم إذا حفظ الأربعين حفظاً متقناً وفهم معانيها ؛ فإنه يكون بإذن الله تبارك وتعالى قد حفظ الأحاديث التي يدور عليها الدين ، بمعنى أنه لا يكون هناك مجال من المجالات إلا ويجد أن عنده حديث يقرّر ذلك ، أيضاً بمعنى آخر يستطيع العالم بإذن الله جلّ وعلا من خلال الأربعين وحدها أن يصلح أي فساد في المجتمع ، وهذا لأهل العلم فيه تجارب كثيرة ، وجدوا فيه نفعاً عظيماً . وأذكر من طريف ما يورّد هنا أنه قبل سنوات تقارب العشرين شرحت الأربعين في أحد المساجد ، وكنت ألزمت جماعة المسجد أن يحفظوا الأربعين ، فجاء رجل التحق بالدرس بعد أن شرحنا سبعة أحاديث وقال : أنا أريد أن أشارك معكم ؛ فقلت : بشرط أن تحفظ السبعة الماضية ؛ فحفظها حفظاً متقناً ودخل معنا الدرس ، ومضينا كل يوم حديث . أسمعهم ثم أشرح . إلى أن قاربنا إلى النهاية ، وكان هذا الرجل عاملاً من العمال يسكن مع عربة عمال ، لما قاربنا النهاية وخرجت من المسجد لحقني وقال لي : أنا أريد أن أقول لك شيء ؛ قال : أنا حسيت نفسي أني عالم الآن ، قلت له لماذا ؟ قال لأننا في العربة مع العمال إذا أخطأوا أي خطأ أردّ عليهم بحديث وأذكر لهم الراوي وأذكر لهم من خرّجه ، وهذا في أي خطأ يخطئونه ؛ فقلت له أن هذا الذي حصلته من العلم يعتبر بداية العلم وأوله ، فالعلم مشوار يحتاج منك إلى صبر وإلى بذل وإلى جد وإلى مجاهدة ، لكن هذا الذي حصلته وهذه أصول وجوامع في كلم الرسول عليه الصلاة والسلام .

فالشاهد أن هذه الأربعين عظيمة جداً ، وينبغي على كل مسلم أن تعظم عنايته بها ؛ أولاً يحفظها ، وثانياً يشجع أبناءه وبناته وأهله في البيت على حفظها - وأنا أفضل لإخواننا الحُجاج والزوار عندما يرجعون إلى بلدتهم وأهلهم أن تكون أكبر هدية يقدمونها لأولادهم الأربعين ، ويشجعونهم على حفظ الأربعين ، ويتعاونون معهم على دراسة الأربعين ؛ فهذا أفضل ما يقدم هدية للأولاد بعد أداء هذه الفريضة المباركة والطاعة العظيمة - .

وأهل العلم قديماً من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان كانوا يتهادون مسائل العلم ؛ يلقي بعضهم بعضاً ويقول : ألا أهدي لك هدية ؟ فيقول بلى ؛ فيهديه حديث من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وهي أعظم هدية .

قال [ثم التزمت في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ، ومعظمها في صحيح البخاري ومسلم وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله ، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات ، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره] .

الشرح..

هذه وصية من الإمام النووي رحمه الله لا تغفل عنها ؛ فيقول رحمه الله : " وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث " ؛ لماذا ؟

قال : " لما اشتملت عليه من المهمات ، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لمن تدبره " .

لا أجد حرجاً في أن أروي تجربة لي مع الأربعين : في أحد الدول الأفريقية بقيت فيها قرابة العشرين يوماً ، وفتحت درساً في الأربعين ، وكان معي مترجماً ، والمسجد حافل بالحضور ، وفي البلد الذي كنت أُلقي فيه تلك الدروس مخالقات كثيرة في العقيدة وفي العبادة وفي الأخلاق وفي المعاملات ، وكنت أسأل بعض طلاب العلم عن الأمور التي في البلد سواءً مشاكل البيوت أو الجرائم التي تقع أو الفساد العقدي والبدع أو نحو ذلك ، وكنت من خلال الأربعين للنووي رحمه الله أعالج كل مشكلة أسمع بها ؛ أعالجها من دون أن أقول عندكم كذا ولكن وأنا أشرح الأربعين أقول : وقد دلّ هذا الحديث على عدم جواز كذا من جهة كذا وأبَيَّن الأدلة ، وكان عدد منهم يأتي ويعلن توبته ويأتي آخرون ويذكرون مخالقات أخرى في البلد ويقولون نريد أن تعرّج عليها في الأحاديث القادمة .

فالأربعين للنووي رحمه الله أمرها عَجَب ولا يدرك قيمتها إلا من تدبرها - كما قال النووي رحمه الله - فإذا تدبرت الأربعين واعتنيت بها عناية دقيقة وطالعت شروحات أهل العلم عليها وأتقنت حفظها ؛ وجدت أن معك علم عظيم مسدّد في معالجة ما يكون في الناس من مخالقات أياً كانت ؛ ولهذا أعيد كلمتي الأولى مؤكداً عليها.. " أن العالم بالأربعين فقط يستطيع أن يعالج أي مشكلة " ، وأعرف عدداً من علمائنا إذا طلب منه كلمة يذكر حديثاً من الأربعين ويشرحه بما يناسب المقام والحال .

قال شيخنا الوالد الشيخ عبد المحسن حفظه الله تعالى :

[والأحاديث التي جمعها النووي رحمه الله اثنان وأربعون حديثاً قد أطلق عليها أربعين تعليلاً مع حذف الكسر الزائد ، وقد رزق هذا الكتاب للنووي مع كتابه رياض الصالحين القبول عند الناس ، وحصل اشتهاهما والعناية بهما ، وأول كتاب ينقدح في الأذهان يرشد المبتدئون في الحديث إليه هذه الأربعون للإمام النووي رحمه الله]

الشرح..

كتاب الأربعين للنووي رحمه الله ، وكتاب رياض الصالحين ؛ كتابان كتب الله جل وعلا لهما قبولاً ، وربما تكاد تجزم أنه لا يوجد بلد في العالم من بلاد المسلمين أو من بيوت المسلمين إلا وفيه رياض الصالحين للنووي

وكتاب الأربعين للنووي تكاد تجزم أنه لا يوجد طالب علم إلا قرأ الكتاب ، حفظها أو قرأها مرات ، وحضر أيضاً فيها حلقات علم ، وعدد كبير من طلاب العلم حفظوه ، وليس هذا في زمان بل في زمن المصنف رحمه الله تعالى ، كتاب كتب الله سبحانه وتعالى له قبولاً وانتشاراً واسعاً بين الناس ، وشرح شروحات كثيرة .

وقال حفظه الله [وقد زاد ابن رجب رحمه الله عليها ثمانية أحاديث من جوامع الكلم فأكمل بها العدة خمسين وشرحها في كتاب سماه : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، وقد كثرت شروح الأربعين للإمام النووي ، وفيها المختصر والمطول ، وأوسع شروحها شرح بن رجب الحنبلي رحمه الله ، وقد رأيت شرح هذه الأربعين مع زيادة ابن رجب شرحاً متوسطاً قريباً من الاختصار يشتمل شرح كل حديث على فقرات ، وفي ختامه ذكر شيء يستفاد من الحديث وقد استفدت في هذا الشرح من شروح النووي وابن دقيق العيد وابن رجب وابن عثيمين للأربعين ، ومن فتح الباري لابن حجر العسقلاني وسميته : فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتنمية الخمسين للنووي وابن رجب رحمه الله .

والمتين من أسماء الله ؛ قال الله عز وجل في سورة الذاريات ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ومعناه شديد القوة كما جاء في كتب التفسير ، وإني أوصي طلبة العلم بحفظ هذه الأحاديث الخمسين التي هي من جوامع كلم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأسأل الله عز

وجل أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله إنه سميع مجيب ، صلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين] .

الشرح..

كذلك في بدء هذا المجلس الذي نسأل الله عز وجل أن يعظم البركة فيه لنا أجمعين ؛ أوصي الجميع بحفظ الأربعين أو بحفظ الخمسين ، ومن كان حافظاً لها مسبقاً يعاود الحفظ ، ومن لم يكن حافظاً يبدأ من اليوم بحفظ الخمسين وأقترح أن يكون تعاون بين طلاب العلم بالحفظ فمن كان له زميل يتعاهد بعضهم بعضاً على حفظ هذه الأحاديث على قدر الإستطاعة إما حديث أو حديثين ويمضي بالحفظ والتكرار إلى نهاية هذه المجالس في شرح الخمسين حديثاً ويستمر بالحفظ والتكرار لعل هذا العلم يرسخ

ونبدأ بالحديث الأول ..

قال الإمام أبو زكريا شرف النووي رحمه الله تعالى :

الحديث الأول

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " . رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحهما الذين هما أصح الكتب المصنفة .

الشرح..

بدأ الإمام النووي رحمه الله تعالى بهذا الحديث العظيم المبارك ، وقد جرت عادة جماعة من أهل العلم بالبدء بهذا الحديث لأن أول الأعمال النيات ، وأول ما يبدأ العمل به النية وحسن القصد والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الأعمال معتبرة بنياتها ؛ فبدأ بهذا الحديث العظيم المبارك ، وجماعة كبيرة من أهل العلم بدأوا بهذا الحديث مصنفاتهم .

والحديث ينبغي أن يستحضره المسلم في أعماله كلها لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

" إنما الأعمال بالنيات " ، والمعنى أن النية إن لم تكن صالحة ولم تكن صحيحة فالله جل وعلا لا يقبل العمل . كما سيأتي شرح هذا الحديث وبيانه . .

والحديث يرويه الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أبو حفص كنية لعمر رضي الله عنه وليس له ولد اسمه حفص ، مثل أبي بكر رضي الله عنه يُكنى بأبي بكر وليس له ولد اسمه بكر ، وكذلك خالد بن الوليد يُكنى أبا سليمان وليس له ولد اسمه سليمان ، ومصنف الأربعين النووي رحمه الله تعالى . يُكنى بأبي زكريا وليس له ولد اسمه زكريا بل لم يتزوج رحمه الله تعالى .

بدأ رحمه الله بحديث عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ي نكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " ؛ وذكر أنه اتفق على هذا الحديث البخاري ومسلم

قال شيخنا الوالد حفظه الله الشيخ عبد المحسن :

[أولاً : أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم ، وقد تفرد بروايته عن عمر علقمة بن وقاص الليثي ، وتفرد به عنه محمد بن إبراهيم التيمي ، وتفرد عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ، ثم كثر الآخذون عنه ، فهو من غرائب صحيح البخاري ، وهو فاتحته ، ومثله في ذلك خاتمته وهو حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن " الحديث ؛ وهو أيضاً من غرائب الصحيح] .

الشرح..

هذا الحديث " إنما الأعمال بالنيات " لم يروه من الصحابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه ، وتفرد بروايته عن عمر علقمة بن وقاص الليثي ، وتفرد بروايته عن علقمة محمد بن إبراهيم التيمي ، وتفرد بروايته عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ثم كثر الآخذون عنه ؛ فهو من غرائب الصحيح لأن الحديث الغريب . يقصد بالغرابة هنا - كونه تفرد بروايته عن الرسول عليه الصلاة والسلام رجل ، وتفرد عن الرجل رجل .. وهكذا ؛ فهو حديث من غرائب الصحيح لأجل ذلك ؛ يعني لكونه تفرد به عن عمر علقمة وعن علقمة محمد وعن محمد يحيى ثم كثر الآخذون عنه لهذا الحديث

وأشار إلى أن الإمام البخاري افتتح كتابه الصحيح بهذا الحديث واختتمه بحديث " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان " ؛ فبدأ بحديث إنما الأعمال واختتم بحديث فيه وزن الأعمال يوم القيامة ، وهذا فيه تنبيه وإشارة إلى أن بداية العمل النية ونهاية

الأمر وزن العمل يوم القيامة يوم يلقي العبد ربه سبحانه وتعالى .

قال حفظه الله تعالى :

[ثانيًا : افتتح النووي أحاديث الأربعين بهذا الحديث ، وقد افتتح جماعة من أهل العلم كتبهم به منهم الإمام البخاري افتتح صحيحه به ، وعبد الغني المقدسي افتتح كتابه عمدة الأحكام به ، والبعثي افتتح كتابيه مصابيح السنة وشرح السنة به ، وافتتح السيوطي كتابه الجامع الصغير به ، وعقد النووي في أول كتابه المجموع شرح المذهب فصلاً قال فيه : فصل في الإخلاص والصدق وإحضار النية في جميع الأعمال البارزة والخفية ؛ أورد فيه ثلاث آيات من القرآن ثم حديث إنما الأعمال بالنيات وقال حديث صحيح متفق على صحته ومجمع على عظم موقعه وجلالته ، وهو إحدى قواعد الإيمان وأول دعائمه و أكد الأركان] .

الشرح..

" وهو " أي حديث " إنما الأعمال بالنيات " إحدى قواعد الإيمان وأول دعائمه و أكد الأركان : وهذا يبين لك مكانة هذا الحديث وأنه للدين بمثابة القاعدة للبيان ، وأنه للدين دعامة بمعنى أن الدين لا يقوم إلا على النية الصالحة والخالصة بحيث لا يتغنى بالعمل إلا وجه الله سبحانه وتعالى ، فهذه دعامة للدين لا قيام للدين إلا عليها ؛ ولهذا قال النووي رحمه الله عن هذا الحديث ؛ قال هو إحدى قواعد الإيمان وأول دعائمه و أكد الأركان .

قال حفظه الله تعالى

[وقال الشافعي رحمه الله : يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه] .

الشرح..

"يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه " يغلب على الظن والله أعلم أنه أراد بـ " السبعين " الكثرة لا العدد أو الحصر ؛ فالمعنى أن أبواب الفقه كلها باباً باباً يدخل فيها هذا الحديث ؛ لأن أي عمل من الأعمال التي يتقرب فيها إلى الله سبحانه وتعالى لا بد فيها من النية ، والأعمال معتبرة بنياتها كما قال عليه الصلاة والسلام " إنما الأعمال بالنيات " ؛ ولهذا هذا الحديث مع المسلم في كل باب من أبواب الفقه ، بل الدخول في الفقه من بدايته لا بد فيه من النية ،

قراءة كتب العلم ودراسة الفقه لا بد فيه من النية ، قال الإمام أحمد رحمه الله : " العلم لا يعدله شيء إذا صلحت النية " ، يعني إذا صلحت النية في طلبه للعلم أما إذا فسدت النية كان علم الإنسان وبالاً عليه .

قال حفظه الله تعالى

[وقال أيضاً هو ثلث العلم ، وكذا قاله أيضاً غيره] .

الشرح..

قوله وهو " ثلث العلم " : ربما يأتي ما سيوضح ذلك ، وهي كلمة قالها عدد من أهل العلم أن هذا الحديث ثلث العلم ، بمعنى أنه العلم الموروث عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو عليه الصلاة والسلام إنما ورث العلم ؛ العلم الموروث عنه جاء في أحاديث كثيرة جداً ؛ لكنها تدور على أحاديث معدودة ، من أهل العلم من قال أنها تدور على ثلاثة أحاديث ، فإذا كانت تدور على ثلاثة أحاديث من بينها هذا الحديث يصبح هذا الحديث ثلث العلم ، وإذا كانت تدور على أربعة أحاديث من بينها هذا الحديث . كما يقرر بعض أهل العلم . يكون هذا الحديث ربع العلم . فهذا قول الشافعي رحمه الله وغيره من أهل العلم أن هذا الحديث ثلث العلم ، لأن العلم الموروث عن النبي عليه الصلاة والسلام جاء في أحاديث كثيرة لكنه زوي عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث جوامع يرجع إليها الدين كله ، بعض العلماء قالوا هي ثلاثة وبعضهم قالوا هي أربعة ، فمن قال إنها ثلاثة من بينها هذا الحديث فهذا الاعتبار يكون هذا الحديث ثلث العلم.

[وقد اختلف في عدّها فقليل ثلاثة وقليل أربعة وقليل اثنان] .

الشرح..

فإذا قيل ثلاثة أحاديث من بينها هذا الحديث فهذا الحديث ثلث العلم ، وإذا قيل أربعة أحاديث فهذا الحديث ربع العلم ، وإذا قيل إنها اثنان فهذا الحديث نصف العلم .

[وقليل حديث ، وقد جمعتها كلها في جزء الأربعين] .

الشرح..

" وقد جمعها كلها في جزء الأربعين " : وهذا يبين لك قيمة هذا الكتاب ، أي أن النووي رحمه الله اعتنى بتتبع كلام أهل العلم في الأحاديث التي قالوا عنها أن عليها مدار الدين ، أو قالوا عنها أنها ربع العلم أو ثلثه أو نصف العلم ، فاعتنى بحفظ هذه الأحاديث وأودعها في هذا المصنف المبارك .

قال : [وقد جمعها كلها في جزء الأربعين فبلغت أربعين حديثاً لا يستغني متدين عن معرفتها] .

الشرح..

كل صاحب دين ، ويريد لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة لا يستغني عن هذه الأحاديث لأنها جمعت له أمهات الأحاديث التي يرجع إليها الدين وعليها يدور .

قال : [لأنها كلها صحيحة جامعة قواعد الإسلام في الأصول والفروع والزهد والآداب ومكارم الأخلاق وغير ذلك] .

الشرح..

أي أنه رحمه الله لم يخص جمع هذه الأحاديث في باب من أبواب العلم . كالاعتقاد مثلاً أو كالعبادات . ؛ بل اعتنى بجمع الجوامع من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي عليها مدار الدين في أي باب من أبواب الدين ، ولهذا قال هنا : في الأصول والفروع والزهد والآداب ومكارم الأخلاق وغير ذلك ؛ فأنت في هذا تجد بغيتك في الدين كله عقيدةً وعبادةً وسلوكاً .

قال النووي رحمه الله تعالى :

[وإنما بدأت بهذا الحديث تأسيساً بأئمتنا ومتقدمي أسلافنا من العلماء رضي الله عنهم ، وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث بلا مدافعة أبوعبد الله البخاري صحيحه ، ونقل جماعة أن السلف كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية وإرادته وجه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفية] .

الشرح..

انتبه لهذا الملحظ وأرعه اهتمامك، ينفعك الله سبحانه وتعالى به ؛ جماعة من أهل العلم استحبوا بدء المصنفات بهذا الحديث ، حديث " إنما الأعمال بالنيات " لماذا ؟ قال رحم الله تعالى : " تنبيهاً للطلاب على تصحيح النية وإرادته وجه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفية " ، لأن النية قد يدخلها ما يدخلها ، حتى وإن جلس الإنسان في مجلس علم معلماً أو متعلماً ؛ فالنية قد يدخلها رياء ، قد يدخلها حبُّ ثناء ، قد يدخلها إرادة الدنيا ، قد يدخلها أمور عديدة تأتي على النية بالفساد ؛ ولهذا يحتاج طالب العلم في جلوسه للعلم أن يعالج نيته ، ومما يعينه على معالجة النية في بدء الطلب تذكيره بهذا الحديث العظيم ؛ ولأجل هذا بدأ جماعة من أهل العلم مصنفاتهم بهذا الحديث " إنما الأعمال بالنيات " ؛ تنبيهاً للطلاب إلى أهمية استحضار النية في طلب العلم .

وطلب العلم عبادة وقربة لله تبارك وتعالى ، ولا يقبل الله من طالب العلم طلبه للعلم إلا إذا أراد بطلبه للعلم وجه الله ، أما إذا طلب العلم للدنيا أو للشهرة أو للرياء أو لمدح الناس أو ليقال عالم أو ليقال مناظر أو ليقال حافظ أو غير ذلك ؛ هذه كلها نيات ليست لوجه الله ، ولكل ما نوى .

فإصلاح النية من أهم ما يكون ، ولأجل هذا بدأ أهل العلم بهذا الحديث تنبيهاً لطالب العلم إلى إصلاح نيته وإرادته وجه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفية .

أعماله البارزة مثل : الصلاة والزكاة والحج والصدقات .

والخفية ؛ التي في القلب : مثل الخوف والحياء والرجاء والتوكل وغير ذلك .

وكل هذه الأعمال البارزة والخفية لا يقبلها الله سبحانه وتعالى من العامل إلا إذا أراد بها وجه الله جل وعلا كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ، وقال ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ وقال في الحديث القدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " .

قال رحمه الله :

[وروينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن ابن مهدي رحمه الله قال لو صنف كتاباً بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث] .

الشرح..

" لو صنف كتاباً لبدأت كل باب منه بهذا الحديث " : وهذا فيه تأكيد وتقدير للمعنى الذي مرَّ معنا عن الإمام الشافعي رحمه الله قال " هذا الحديث يدخل في سبعين باباً من الفقه " ؛ فابن مهدي رحمه الله يقول لو صنف كتاباً في العلم لصدرت كل باب من أبوابه بهذا الحديث ؛ لماذا .. ؟ لأن النية يحتاج إليها في كل باب من أبواب العلم ، وإذا فقدت النية في أي باب من أبواب العلم لم يستفد منه طالبه لأن الأعمال معتبرة بنياتها .

قال رحمه الله :

[وروينا عنه أيضاً قال من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث .

وقال الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي الشافعي الإمام في كتابه المعالم رحمه الله تعالى : كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الأعمال بالنيات أمام كل شيء يُنشأ ويبدأ من أمور الدين لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها . وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم : وافق العلماء على صحته وتلقيه بالقبول وبه صدر البخاري كتابه الصحيح وأقامه مقام الخطبة له إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمره له في الدنيا ولا في الآخرة .

وقال ابن رجب : وهذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها ، فروي عن الشافعي أنه قال : هذا الحديث ثلث العلم ، ويدخل في سبعين باباً من الفقه . وعن الإمام أحمد قال : أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث حديث عمر رضي الله عنه " الأعمال بالنيات " ، وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها " من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " ، وحديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه " الحلال بين والحرام بين " [.

الشرح..

هذه كلمة عظيمة للإمام أحمد رحمه الله في التنبيه على ثلاثة أحاديث قال عنها " أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث " ؛ وحتى تعرف قيمة كلمة الإمام أحمد تذكر من هو الإمام أحمد ، وتذكر أيضاً كتابه المسند ، وقد طبع محققاً معتنى به في خمسين مجلداً كلها أحاديث جمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم - جامع المسند للإمام أحمد رحمه الله - ؛ يقول : أصول الدين الإسلامي ترجع إلى ثلاثة أحاديث ، يعني اقرأ المسند كاملاً وغيره من كتب الحديث فجميع الأحاديث وأصول الدين

راجعة إلى ثلاثة أحاديث هي من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام وعليها يدور الدين ؛ ماهي ؟ قال " حديث عمر رضي الله عنه " الأعمال بالنيات " ، وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها " من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " ، وحديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه " الحلال بين والحرام بين " ، وهذه الأحاديث الثلاثة كلها أودعها النووي رحمه الله تعالى كتابه الأربعين ، وتوجيه كلام الإمام أحمد وتقريره وبيانه جاء عن ابن رجب رحمه الله توضيحاً له .

وقال أيضاً في توجيه كلام الإمام أحمد : [فإن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات ، وهذا كله تضمنه حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه ، وإنما يتم ذلك بأمرين أحدهما أن يكون العمل في ظاهره على موافقة السنة ، وهذا الذي تضمنه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " ، والثاني أن يكون العمل في باطنه يقصد به وجه الله عز وجل كما تضمنه حديث عمر رضي الله تعالى عنه " إنما الأعمال بالنيات "] .

الشرح..

هذا توضيح من ابن رجب رحمه الله تعالى لكلام الإمام أحمد عندما قال : أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث وهي حديث " الأعمال بالنيات " ، وحديث " من أحدث في أمرنا " وحديث " الحلال بين والحرام بين " ؛ فيقول ابن رجب رحمه الله : " الدين فعل المأمور وترك المحظور واتقاء المتشابه " ، وهذا بُيِّنَ على التمام والكمال في حديث النعمان بن بشير .
وإنما يتم ذلك بأمرين ..

الأول : أن تكون النية خالصة في الأعمال لا يراد بها إلا وجه الله تعالى وهذا مبين في حديث عمر " إنما الأعمال بالنيات "

والأمر الثاني : أن يكون العمل موافقاً للسنّة فإن لم يكن موافقاً لم يقبل ؛ وهذا بينه حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفي هذا المعنى قال الفضيل رحمه الله في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قال أخلصه وأصوبه ، قيل يا أبا علي وما أخلصه وأصوبه ؟ قال إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنّة .

قال رحمه الله :

[وأورد بن رجب نقولاً عن بعض العلماء في الأحاديث التي يدور عليها الإسلام وأن منهم من قال أنها اثنان ومنهم من قال أربعة ومنهم من قال خمسة ، والأحاديث التي ذكرها عنهم بالإضافة إلى الثلاثة الأولى حديث " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه " ، وحديث " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " ، وحديث " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً " ، وحديث " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وحديث " لا ضرر ولا ضرار " ، وحديث " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " ، وحديث " ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " ، وحديث " الدين النصيحة "] .

الشرح..

هذه الآن أحاديث جميعها قال عنها بعض أهل العلم عليها مدار الدين ، أو عدوها في جملة الأحاديث التي هي جامعة لأصول الإسلام ، وبعض أهل العلم عدّها ثلاثة وبعضهم عدّها اثنين ، وبعضهم عدّها أربعة ، وبعضهم عدّها خمسة . وهنا تلخيص للأحاديث التي قيل عنها ذلك وجميعها أودعها النووي رحمه الله تعالى كتابه الأربعين .

قال حفظه الله تعالى :

[إنما الأعمال بالنيات : إنما أداة حصر ، الألف واللام في الأعمال : قيل أنها خاصة في القرب ، وقيل أنها للعموم في كل عمل ، فما كان منها قرينة أثيب عليها فاعله ، وما كان منها من أمور العادات كالأكل والشرب والنوم فإن صاحبه يثاب عليه إذا نوى به التقوى على الطاعة .

والألف واللام في النيات بدلاً من الضمير هاء ؛ أي الأعمال بنياتها ، ومتعلق الجار والمجرور محذوف تقديره معتبرة أي أن الأعمال معتبرة بنياتها.

والنية في اللغة : القصد ، وتأني للتمييز بين العبادات كتمييز فرض عن فرض أو فرض عن نفل ، وتمييز العبادات عن العادات كالغسل من الجنابة والغسل للتبرد والتنظيف] .

الشرح..

قال في شرح الحديث وبيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنيات " ؛ قال :
" إنما " أداة حصر أي أن الأعمال بنياتها ، وهذا حصر للأعمال في قبولها واعتبارها عند الله سبحانه وتعالى أن ذلك متعلق بالنيات ؛ بمعنى أن أي عمل كان ليس معتبراً ولا مقبولاً ولا مرضياً عند الله جل وعلا إلا بالنية .

قال : " وأل في الأعمال " ما المراد بها ؟

قليل أنها خاصة في القرب ، الأعمال: أي القرب التي يُتقرب بها إلى الله عز وجل ؛ مثل الصلاة والصيام والحج والصدقة وغير ذلك

وقيل أن الأعمال أوسع من أن يراد بها القرب فقط ؛ فقليل أنها للعموم في كل عمل ؛ أي حتى الأكل والشرب والنوم والقيام والعودة والذهاب والرواح ، هذه أعمال .

فما كان منها قرينة أثيب عليه فاعله . أي إذا صلحت نيته . ، وما كان منها من أمور العادات كالأكل والشرب والنوم فإن صاحبه يثاب عليه إذا نوى به التقوى على الطاعة ؛ فمثلاً من نام مبكراً بنية قيام الليل ؛ يثاب على هذا النوم ، ويكون نومه عبادة وقرينة لله ، مَنْ أكل أو شرب ليتقوى بأكله و شربه على أداء الطاعات ؛ فأكله وشربه يُعدّ عملاً صالحاً يثاب عليه ، وإذا كان من يأكل ويحسن أكله ليرتكب الفواحش والعياذ بالله والمحرمات يُؤزر بهذا الأكل ، فإنَّ من يأكل ويشرب ليتقوى جسمه على العلم والدراسة والدروس والعبادة وغير ذلك ؛ فيكون أكله وشربه داخل في جملة الأعمال الصالحة التي يثاب عليها .

وعليه يكون الحديث مفيداً بعموم دلالاته أن العادات إذا صحبتها النيات الصالحة صارت عبادات وقربات مثل الأكل والشرب والنوم عادة للإنسان لكنها بالنية الصالحة يكون قرينة من القرب التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى فيثاب على ذلك .

قال " الألف واللام في النيات بدلاً من الضمير هاء " .. أي أن أصل الجملة هو " إنما الأعمال بنياتها " ؛ حذف الضمير وعوض عنه بالألف واللام ، فالألف واللام في قوله بالنيات عوض عن الضمير ، وأصل الجملة " إنما الأعمال بنياتها " .

قال " ومتعلق الجار والمجرور محذوف تقديره معتبرة " .. فيكون معنى إنما الأعمال بالنيات أي إنما الأعمال معتبرة بنياتها :

" معتبرة " أي في صلاحها وفي قبولها في رضا الله سبحانه وتعالى عن فاعلها بإثابته عليها

بنياتها

وهذا يشمل معنيين أرادهما أهل العلم أو استفادهما أهل العلم من هذا الحديث ، والمعنى الأول: يكثر إطلاقه في كتب الاعتقاد ، والمعنى الثاني: يكثر إطلاقه في كتب الأحكام • أما في كتب الاعتقاد فالنية يطلقها أهل العلم ويراد بها تمييز المقصود بالعمل ؛ قوله إنما الأعمال بالنيات المراد بالنية ما يكون به تمييز المقصود بالعمل ، والمقصود بالعمل والعبادات هو رب العالمين ، فيجب أن يكون وحده جلّ وعلا المقصود بالعمل ، فمن كان مقصودة بعمله وجه الله اعتبر عمله بذلك وأثيب عليه ورضي الله سبحانه وتعالى عنه لأن عمله إنما قصد به وجه الله سبحانه وتعالى ، لم يرائي فيه ولم يسمع ولم يرد به الدنيا ، وإنما أراد به وجه الله سبحانه وتعالى .

• والمعنى الثاني في النية ما تتميز به العبادات ؛ قال في التعليق " **و تأتي للتمييز بين العبادات** " وهذا في إطلاق الفقهاء ؛ يعني عندما تطلق النية في كتب الفقه والأحكام هذا هو المراد بها ؛ " **ما تتميز به العبادات كتمييز فرض عن فرض** " ، الآن صلاة الظهر وصلاة العصر من حيث صورة العمل واحدة في السفر والحضر لكن ما الذي يميز هذه عن هذه ؟ النية فقط ؛ النية هي التي تميّز أن هذه الظهر وهذه العصر وإلا صورة العمل واحدة " **وتأتي للتمييز بين العبادات كتمييز فرض عن فرض** " مثل أن تميّز فرض العصر عن الظهر بالنية والنية محلها القلب ؛ عندما تنوي صلاة العصر تميّزت الصلاة بالنية أنها صلاة العصر

قال " **أو فرض عن نفل** " .. عندما تصلي نافلة ركعتين ، أو فريضة مثل صلاة الفجر ركعتين ؛ فيميز هذه عن هذه النية .

" **وتمييز العادات عن العبادات : كالغسل من الجنابة والغسل للتبرّد و التنظف** " .. ؛ فهذا غسل وهذا غسل ... فما الذي يميز غسل الجنابة عن غسل النظافة إلا النية .

فالنية لها إطلاقان :

إطلاق في كتب العقائد.. ويراد به تمييز المقصود بالعمل وهو الله بمعنى المراد بالنية عندهم الإخلاص ؛ يعني قوله " إنما الأعمال بالنيات " أي بالإخلاص لله جل وعلا في الأعمال .

ولها إطلاق آخر عند أهل الفقه في كتب الأحكام .. والمراد بها التمييز بين العبادات والتمييز

بين العبادات والعبادات .

قال حفظه الله تعالى :

[وقوله وإنما لكل ما نوى : قال ابن رجب إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه ؛ فإن نوى خيراً حصل له خير ، وإن نوى شراً حصل له شر ، وليس هذا تكريراً محضاً للجملة الأولى ، فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة] .

الشرح..

لاحظ الفرق بين الجملتين " إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى " ؛ " ليس هذا تكرير محض للجملة الأولى " ، ليس إعادة للجملة الأولى ، وتوضيح ذلك قال : الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل و فساده بحسب النية المقتضية لإيجاده

" إنما الأعمال بالنيات " أي معتبرة صلاحاً وفساداً بنياتها هذا مراد الجملة الأولى ومقصودها .
الجملة الثانية قال : " دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة ، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة " ، " وإنما لكل امرئ ما نوى " من الثواب والعقاب ما نوى ، فإن نوى خيراً حصل خيراً وإن نوى شراً وفساداً حصل عقوبة .

إذاً قوله " وإنما لكل امرئ ما نوى " ليس تكريراً محضاً للجملة الأولى وإنما هو بيان لما يترتب على النية من صلاح أو فساد وما يترتب عليها من ثواب أو عقاب ..
فالجملة الأولى لبيان العمل والجملة الثانية لبيان ثواب العمل أو العقاب عليه

[وقد تكون نيته مباحة فيكون العمل مباحاً فلا يحصل له به ثواب و لا عقاب فالعمل في نفسه صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه المقتضية لوجوده ، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب نيته التي بها صار العمل صالحاً أو فاسداً أو مباحاً] .

الشرح..

حتى المباح . كما مر معنا قريباً . أن المباح إذا فعله الإنسان بنية صالحة أثيب عليه ، والعبادات تتحول بالنيات الصالحة إلى قربات يثاب العبد عليها عند الله سبحانه وتعالى

قال حفظه الله تعالى :

[قوله فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه : الهجرة من الهجر وهو الترك ، وتكون بترك بلد الخوف إلى بلد الأمن كالهجرة من مكة إلى الحبشة ، وتكون من بلد الكفر إلى بلاد الإسلام كالهجرة من مكة إلى المدينة ، وقد انتهت الهجرة إليه بفتح مكة .

والهجرة من بد الشرك إلى بلد الإسلام باقية إلى قيام الساعة .

وقوله " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله اتحد فيه الشرط والجزاء] .

الشرح..

" اتحد فيه الشرط والجزاء " والعادة أن يختلف الجزاء عن الشرط ، لكن هنا اتحد قال : " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله " اتحد الشرط والجزاء فما معنى ذلك ؟

قال : [والأصل اختلافهما ، والمعنى : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً وقصدًا ، فهجرته إلى الله ورسوله ثواباً وأجرًا ، فافتقرا] .

الشرح..

افتقرا في المعنى وان كانا اتحدا في اللفظ " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً وقصدًا ، فهجرته إلى الله ورسوله " فاللفظ واحد لكن المعنى يختلف ؛ فالأولى وهي قوله " من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً وقصدًا " ؛ لم يرد بالهجرة إلا الله ؛ فهذه نيته وهذا قصده ؛ فهجرته إلى الله ورسوله أي ثواباً وأجرًا ؛ فاتحدا في اللفظ واختلفا في المعنى . فالأولى المراد بها النية والقصد والثانية المراد بها الثواب والأجر ؛ وهذا فيه تنبيه لعظم الثواب وكبره .

قال ابن رجب رحمه الله :

[لما ذكر صلى الله عليه وسلم أن الأعمال بحسب النيات ، وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر ، وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شيء ذكر بعد ذلك

مثالاً من الأعمال التي صورتها واحدة ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات وكأنه يقول سائر الأعمال على حدو هذا المثال] .

الشرح..

هذا الآن مثال فقط " من كانت هجرته " ؛ مثال ليتضح به قوله " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى " ، فمثّل لتوضيح هذه القاعدة الكلية بالهجرة ، وإلا جميع أعمال الدين أمرها وشأنها كذلك ؛ إن كانت نيته لله أثابه الله ثواب المخلصين ، ومن كانت نيته لغير الله حبط عمله وكان يوم القيامة من الخاسرين .

وقال أيضاً :

[فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الهجرة تختلف باختلاف النيات والمقاصد بها ؛ فمن هاجر إلى دار الإسلام حباً لله ورسوله ورغبة في تعلم دين الإسلام وإظهار دينه حيث كان يعجز عنه في دار الشرك فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقاً ، وكفاه شرفاً وفخراً أنه حصل له ما نواه من هجرته إلى الله ورسوله ، ولهذا المعنى اقتصر في جواب هذا الشرط على إعادته بلفظه لأن حصول ما نواه بهجرته نهاية المطلوب في الدنيا والآخرة ، ومن كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام لطلب الدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها في دار الإسلام فهجرته إلى ما هاجر إليه من ذلك ، فالأول تاجر والثاني خاطب وليس واحد منهما بمهاجر] .

الشرح..

النبي عليه الصلاة والسلام قال " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله " هذا فيه بيان حال المخلص بعمله الصالح وفيما يتقرب به إلى الله ، وأنه إنما تقرب بهذا العمل ابتغاء وجه الله ، فإذا كان العمل هجرة - كما في هذا المثال الذي في الحديث - وهاجر ليتعلم دينه وليظهر دينه لأنه عاجز عن إظهاره في بلد الكفر ، وليكون في ذهابه إلى بلاد الإسلام حفظاً لدينه ودين أولاده ؛ فهذه الهجرة الصحيحة التي يثاب عليها ثواب المخلصين الصادقين في نيتهم مع الله جل وعلا أو الصالحين في نيتهم .

والآخر.. قال " ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها " ..

" لدنيا يصيبها " .. ليس له غرض إلا التجارة و الربح الدنيوي ، أو " امرأة ينكحها " أي

ليس له نية في هجرته إلا النكاح والزواج ؛

قال " فهجرته إلى ما هاجر إليه " .. فالأول تاجر والثاني خاطب .

الذي هاجر لدنيا هذا تاجر والذي هاجر لامرأة ينكحها هذا خاطب فهجرته إلى ما هاجر إليه .

قال : " وليس واحد منهما بمهاجر " .. أي الهجرة التي يثاب عليها عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وتكون في عداد أعماله الصالحة المقربة إلى الله .

قال رحمه الله تعالى :

[وفي قوله " إلى ما هاجر إليه " تحقير لما طلبه من أمر الدنيا واستهانة به ، حيث لم يذكره بلفظه ، وأيضاً فالهجرة إلى الله ورسوله واحدة]

قوله " هجرته إلى ما هاجر إليه " .. هذا فيه تحقير له ليس له هم في هجرته إلا الدنيا أو نحو ذلك " تحقير لما طلبه من أمر الدنيا واستهانة به ، حيث لم يذكره بلفظه "

[وأيضاً فالهجرة إلى الله ورسوله واحدة فلا تعدد فيها فلذلك أعاد الجواب فيها بلفظ الشرط ، والهجرة لأمر الدنيا لا تنحصر ، فقد يهاجر الإنسان لطلب دنيا مباحة تارة ومحرمة أخرى وأفراد ما يقصد بالهجرة من أمور الدنيا لا تنحصر فلذلك قال " فهجرته إلى ما هاجر إليه يعني كائناً من كان] .

الشرح ..

نبّه الحافظ بن رجب رحمه الله إلى أن قوله " إلى ما هاجر إليه " فيها ملحظان :

الملحظ الأول : تحقير واستهانة بمن كانت هذه حاله ، والملحظ الثاني أن الهجرة لأمر الدنيا لا تنحصر ، ولهذا لم يُعد وإنما قال " إلى ما هاجر إليه " لأن الهجرة لأمر الدنيا لا حصر لها ولا عدّ.

قال بن رجب رحمه الله :

[وقد اشتهر أن قصة مهاجر أم قيس كانت سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم " من كانت هجرته

إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها " ، وذكر ذلك كثير من المتأخرين في كتبهم ، ولم نر ذلك أصلاً بإسناد يصح ، والله أعلم] .

الشرح..

هذا مشتهر ولكنه ليس بثابت أن الحديث له سبب وهو مهاجر أم قيس ، وهو رجل يقال أنه هاجر إلى المدينة لكونه يحب امرأة فيها يقال لها أم قيس ، ولأجل ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحديث ، ولكن هذا ليس له أصل ثابت في السنة الصحيحة .

قال حفظه الله تعالى :

[النية محلها القلب والتلفظ بها بدعة ، فلا يجوز التلفظ بالنية في أي قرينة من القرب إلا في الحج والعمرة فله أن يسمى في تلبينه ما نواه من قرآن أو أفراد أو تمتع ؛ فيقول : لبيك عمرةً وحجاً أو لبيك حجاً أو لبيك عمرةً لثبوت السنة في ذلك دون غيره] .

الشرح..

" النية محلها القلب " .. قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات " النية محلها القلب والتلفظ بها بدعة ، يعني لا يجوز للإنسان أن يتلفظ بالنية بين يدي العبادة مثل الصيام فأول ما يبدأ يصوم يقول نويت أن أصوم هذا اليوم الاثنين من تاريخ كذا نفلاً لله جل وعلا فهذه بدعة ، أو رجل يريد أن يصلي الفريضة فيقول بين يدي الصلاة : نويت أن أصلي صلاة الظهر أربع ركعات جمعاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا بدعة محدثة لا أصل لها في دين الله جل وعلا ، ولا يثاب على هذا العمل بل يُؤزر لأن البدعة مردودة على صاحبها غير مقبولة منه ؛ و النية محلها القلب لا يجوز للإنسان أن يتلفظ بالنية بين يدي العبادات ، والحج يشرع للمسلم أن يعلن إهلاله ويرفع صوته بإهلاله ؛ لأنها ثلاثة أنساك : الأفراد والتمتع والقرآن ، فيشرع له أن يرفع صوته بالشيء الذي قصده ؛ حجا مفردا أو حجا وعمرة قارنا بينهما أو عمرة متمتعا بها للحج ؛ فيقول : لبيك اللهم حجاً أو يقول لبيك اللهم حجاً وعمرة أو يقول لبيك اللهم عمرة ؛ فيرفع صوته بذلك حتى أيضاً يضبط الشيء الذي نواه أو أراده من هذه الأنساك الثلاثة ، ولا يجوز له أن يقول في الميقات : نويت أن أؤدي هذا العام حجاً فريضة ... إلى آخره ، هذا من البدع وليس له أصل في سنة الرسول عليه الصلاة والسلام .

قال حفظه الله تعالى :

[مما يستفاد من الحديث :

أولاً : أنه لا عمل إلا بنية .

ثانياً : أن الأعمال معتبرة بنياتها .

ثالثاً : أن ثواب العامل على عمله على حسب نيته .

رابعاً : ضرب العالم الأمثال للتوضيح والبيان .

خامساً : فضل الهجرة لتمثيل النبي صلى الله عليه وسلم بها، وقد جاء في صحيح مسلم عن عمر بن

العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن

الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله " .

سادساً : أن الإنسان يؤجر أو يؤزر أو يحرم بحسب نيته .

سابعاً : أن الأعمال بحسب ما تكون وسيلة له ، فقد يكون الشيء المباح في الأصل يكون

طاعة إذا نوى الإنسان به خيراً كالأكل والشرب إذا نوى به التقوي على العبادة

ثامناً : أن العمل الواحد يكون لإنسان أجراً ويكون لإنسان حرماناً [.

هذه فوائد عظيمة مستفادة من هذا الحديث حديث " إنما الأعمال بالنيات " ..

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم على عبدك

ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

..*